مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة

آفاق أدبية

التي يصدرها قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد



يوميات طائر

شعر

محمد فتحى نصار

هدية الإصدار الرابع لمجلة «آفاق أدبية»

التى يصدرها قسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة

آفاق أدبية

التي يصدرها قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد

يَوْمِيَّاتُ طائر

شعر

محمد فتحي نصار

هدية الإصدار الرابع لمجلة "آفاق أدبية " ،

التي يصدرها قسم الأدب والنقد - كلية اللغة العربية بإيتاي البارود -

جامعة الأزهر

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

إهداء

يارب ألهمني الطريـــــقَ
وأعْطني منكَ الكتـــابْ

لأعودَ أدعو العالَمَ الغـاوى
إلى سُبُـلِ الصّـــوابْ

وأكـــــونَ قولَكَ للبَرايا
ناطقاً فَصْلَ الخِطـــابْ

(١)

يارَبّ : ماذا قد جَنَيْتُ ؟ ، وما الذي اقْتَرَفَتْ يداىْ ؟
حَتَّى تُعَذّبَنى عــــذاباً ليسَ يعرفُــــهُ سواىْ
.. حَمَّلْتَنى حملاً ثقيــــلاً تَحْتَهُ خارَتْ قُــواىْ
الصَّبْرُ يُلْجم أَحْــــرُفي ، وإليكَ تَصْرُخُ مُقْلتاىْ
في كل يومٍ أرفــــع الكَفَّيْن يَسْبقني بُكاى
أدعوك يا ربّى ، وهــــل يكفي ـ إذا أدعو ـ دُعاى؟ !

(٢)

إنّى تَعِبْتُ من التَّغَرُّبِ في البــــلاد .. منَ السَّفَرْ
وسئمتُ وجْهَ السائقــــين السودِ ، أشباهِ البَشَرْ
وبَرِئتُ مِمَّنْ قد تحكَّــــم في الأنامِ ، ومن غَدَرْ
فالأرضُ باتَتْ غابةً يحــــيا عليها مَنْ قَدَرْ
والعاجزون كأنَّهُــــمْ أصنامُ صَخْرٍ ، أو صُوَرْ
إنّى يئسْتُ من الحياة ، وعــــدتُ أستجدى القَدَرْ

(٣)

إنّي رأيتُ الناسَ في صُورِ الوحوش ، بلا قُلوبْ !
عَشقوا الحياة ، وأحرزوها بالمخالب ، والنيوبْ!
وتَفنَّنوا في الكَيْدِ ، والإيذاءِ ، والمكْرِ الرهيبْ !
كُلٌّ يريد العيشَ - أيًّا كان - في حِرْصٍ غَضوبْ!
كُلٌّ يؤلِّهُ نَفْسَهُ ، والحـــبُّ في الدنيا غريـــبْ !
ما عُدْتُ أسمعُ غيرَ أنبـــاءِ المذابح ، والحروبْ !!!

(٤)

ماذا عسى يُجدى على الإنسانِ ظُلْمُ الآخرينْ ؟!
لِمَ لا يعيش الكُلُّ إخوانَ ائتلافٍ آمنيـــــن ؟ !
أذْكَتْ لهيبَ الحرب أيدي العـــابثين الآثمينْ !!
طربوا لأنّات الثّكالَى ، واليـــتامَى اللاجئينْ !!
وتَخضّبوا بدَمِ الصِّغار ، دم الضِّعاف الكادحينْ!!
يا ويلهم - يوم القصاص - من انفجار الصابرينْ!!

(٥)

مَهْلاً أبا لسَةَ الخـرابِ ، ويا دُعـــاةَ العُنْصُرِيَّهْ
يا سائقي المسْتَضْعفـين من الشُّعـــوب إلى المنيَّهْ
فغداً يسوقُكُــــمُ القصـاصُ إلى القبور بلا رَوِيَّهْ
وغداً ستعلو فوقَ هـــامة شمـسهِ النَّفْسُ الأبيَّهْ
ويجئ ضوءُ الصُّبْــح يأســـو كُلَّ آلام البريَّهْ
ويعودُ للأرض الأُلَى فقـــدوا مع الظلـم الهُويَّهْ

(٦)

أنا لَسْتُ أدرى كيف أحـــيا بين ظُلْمٍ واعْتداءْ !!
ضاقَتْ بنا الأيامُ ، لا أمْنُ يســـودُ ، ولا حياءْ !!
اليأسُ أصْبَحَ يائساً ، وتَحَطَّـــمَتْ سُفُنُ الرجاءْ !!
صارتْ نواحى الأرض في بَلْـــوى تَرَدِّيها سواء!!
هل لى ، وقد ضاقت بي الدنيـــا ، وأغرقني البلاءْ
أن أهجُرَ الأرض التي خانت ، وأسكُنَ في السماء؟!!

(٧)

يارب : إنّي قد ضللتُ ، فلا تَدَعْني للضَّـــــلالْ
إنّي هربتُ من الحياة إلى عوالِمَ من خيـــــالْ
الليلُ طالَ ، فكيف أنجو من أياديـــه الطـوالْ ؟!
ومتى يعود الفَجْرُ يرقُصُ فـوق أشلاء المحـــال ؟ !
العمرُ قد دانى المغيبَ ، وأحبـــطَ الشمسَ الزَّوالْ
وجهـــود أيامي حروفٌ قد تكون على رمالْ !!

(٨)

إنّي شربتُ الكأسَ - قهراً - ملؤهـا صابٌ وعَلْقَمْ
تَسْقِي أمانيَّ المرارَةَ في تمنّيـــــها ، وتُطْعِمْ
وتصوِّرُ الأيامَ وَحْشاً جامحاً ، يطـــوى .. يُحَطِّمْ
والناسَ ذؤباناً بلا حِسٍّ تَسابقُ ، تخْـــتَصِمْ
وتَعِبْتُ مما قد لقيتُ ، وملّني طولُ الألـــــم
فبأي شئ سوف ينـفَعُني التَّمَنّي، والنَّـــدَمْ؟!!

(٩)

يارِبِّ : قومي كَذَّبـــــونى .. أنت بي يارَبِّ أعْلَمْ
لم يبصروا .. لم يسمعوا .. كُلُّهُـــمْ أعْمَى ، أصَمْ
لم ينطقوا كَلِمات حَقٍّ .. كلُّهُـــمْ - في الحقِّ - أبكَمْ
لم يفهموا قولى الذي أجـــريتَهُ بفمى لِيُفْهَــــمْ
لم يخلعوا عنهـــم رداءَ الجَهْلِ ، طـــالَ بهِمْ ، وأظْلَمْ
يارِبِّ : قومى كذبوني .. كيف أنجو -رَبِّ- منْهُمْ ؟!

(١٠)

ثاروا عليَّ لأنّنى أذَّنتُ فيهم للصــــــلاهْ!!
ودعوتُهُمْ للنـــور حتى لا يتوهوا عن خُطـــاهْ !
وزجرتُهُمْ عن كُلِّ بابٍ فيـــــه أقدام الطغاهْ !
وحملتهم فوق الطريقِ إلى الخـــلاصِ ، إلى النجاهْ !
ثاروا عليَّ ، ومزَّقوني بالظنون ، وبالشفـــاهْ !
ماذا ستَفْعَلُ كِلْمَتى ؟ .. سَلَّمْتُ أمرى للإلـــهْ !!

(١١)

شيطانُهُمْ قد نالَ مِنّى ؛ كي أكـــفَّ عن الكـــلامْ
أمَرَ ؛ اطرحوهُ مقيَّداً فوق الجنـــادلِ ، والرَّغـــامْ
صَرَخَ ؛ اعْتَرِفْ .. هيا اعترفْ .. لا تَنْفِ هذا الاتِّهام
لا ذنب لي إلا دعائي للطَّهارة ، والســـــــلامْ
أغْرَى بِيَ الجَلاَّدَ ؛ كى يغتال لَحْـــنى في الظـــلام
ثم انْبَرَى الجَلاَّدُ لا يُبقى الجلودَ ، ولا العظـــامْ!!

(١٢)

يا أيُّها الجَلاَّدُ : حَسْبُكَ ، لا تُطِعْ هذا الظلـــومْ
لا تُفْتتنْ ، فالظلم ـ يا هذا ـ له عَقِبُ وخيـــمْ
أوَلَسْتَ مثلى في الحياة ، وفي الشقاء ، وفي الهمـــوم ؟ !
لا ، لست مثلى .. أنت غيرى .. أنت شيطانٌ رجيم!!
يا أيُّها الجلاّدُ: صـبراً، فالأماكِنُ لا تـــــدومْ
فَغَداً سيَدْ هَسُـكَ الطريقُ ، وأرْتَقى أنا للنجـــوم

(١٣)

يارب: إنّي قد مَلِلْت العَيْش في هذى الحيـــــاهْ
الظُّلْم رائدُ أهلها ، والحَقُّ قــد شلَّــتْ خُطــاهْ
والليلُ ثوبٌ دائمٌ ، والنـــور جَفَّــتْ مُقْلتــاهْ
اليأس يُثْقِلُ ظهرها ، والعجــزُ تَخْنُقُهــا يــداهْ
الحقد يملأ قلبــها ، وأمامَــهُ تَعْنــو الجبـــاهْ
الموت أَهْونُ وَطْــأةً ، إذْ لا سبيل إلى النجــاهْ!!

(١٤)

أيْنَ المَفَرُّ من الضَّيــاعِ ، ومِنْ تباريحِ الأَلَــمْ ؟
من قبل أنْ تَفْنَى الحيــاةُ ، فلا سفوحَ ولا قِمَمْ !
لم يَبْقَ منها غَيْرُ إحســاسِ المرارة ، والنَّــدمْ!
أيْنَ المفَرُّ من الرَّدى ؟ ، ومتى الخروجُ من العَــدَمْ ؟!
ومتى يعود السَّيْلُ يَغْسِلُ عن حقائقنا السَّــأمْ ؟!
إنّي يئستُ من الوصول وحارَ في كَفّى القَلَــمْ !!

(١٥)

يارَبِّ : دارتْ بي الحياةُ ، فتُهْتُ لا أدرى الطَّريــــــقْ
كيف السبيل إلى معاملة الوحوش ، ولا رَفيــــــــقْ
ما عدتُ أعرف – بين من أَلْقَى – العَدُوَّ من الصديــــقْ
أصبَحْتُ حَيْرانَ الخُطا ، لا أستريحُ ، ولا أُفيــــــقْ
في كُلِّ خيرٍ جئتُهُ أَجِدُ التَّجَــــــــــنِّى ، والعُقوق
وأعود ظَمْآنَ الرؤي ، في داخلى يعوى حريــــــقْ

(١٦)

أَنَظَلُّ في طاحونة الحـــــرب الضَّروس بلا كيـــانْ ؟!
وندور في آلامنا أنَّى يدور بنـــا الزمــــــــــانْ !!
فإذا وصلنا للنهـــــاية لم نَجِـدْ طَيْفَ الأمــــــانْ !!
ويضيع طوفانُ الدمِ المسفوكِ في ليل الهـــــــوانْ!!
الويلُ للزمَنِ الذى يَحْتَلُّ قَمَّــتَهُ الجَـــــــــبان!!
يارَبِّ : قد ثَقُل الظَّـــــلامُ .. مَتَى سيرتفع الأذانْ ؟!

(١٧)

في رحلتي أبْصَـــــــرْتُ طَيْراً حائراً لا يَسْتَقِرّْ
يعلو ، ويهبط دون وَعْيٍ في اضطرابٍ مُسْتمِـــــرّْ
لا غُصْنَ يحْمِلُهُ ، ولا أيْكٌ يقـــيهِ ، وينتظِـــــــرْ
قد تاه عن وَطَنٍ له بيـــــن الحـــدائق والشَّجَـــــرْ
يَسْتنبت الصحراء ، والصحراءُ هَوْلٌ ،بل خَطَـــــرْ
أتراهُ ضَلَّ طريقَـــــهُ ، أم ملَّ دُنياهُ فَفَـــــــرّْ ؟ !

(١٨)

يا طائراً لم يَحْيَ إلا بيــــــن أغْصــــانِ الجَمــــالْ
بين المزارع ، والبيــــادر ، والطبيعة ، والخيـــــالْ
بيــن الزهور الفيح تَسْرَحُ في المباهج والظـــــــلالْ
الآن تركضُ في فلاةٍ ضَلَّ في يدها الضَّـــــــــلالْ
أشباحها ما حوَّمت لك قبــــلَ أن تبدو ببـــــــالْ
ماذا ستَفْعلُ ها هنا،بيـــــن الصحاري ، والرِّمــــالْ؟!

(١٩)

يا طائرَ الأشجانِ : هِجْـتَ بداخلـى مثلَ انفجـارْ
فكأنَّ بيـن عظام صدرى - إذْ رأيتُـك- لفْحَ نارْ
هذا التَّحَـوُّل، أيُّها الفنانُ - ويحكَ - كيف صـار ؟!
في هذه الصحراءِ يجرى الخَوْفُ نَهْراً ، والدَّمـارْ !
فمتى يعود التائهون الضائعون إلى الدِّيـارْ ؟!
أشبهتني - في محنتي - لكنني مالـى اختيـارْ !!

(٢٠)

من أيـن جئت ؟ ، وأيـن تمضي - يا رفيقي - في المكانْ ؟!
هل أنـت - حقًّا - طائرٌ ؟ أو أنت وهمُ فيَّ كـانْ ؟ !
هل أنـت مِنْ أهل الزمان ، أوَ انتَ من خَلْفِ الزمـانْ؟!
هل أنت روحٌ ، أو بلا روح لها حَقُّ الأمـانْ ؟ !
أو جئت من كتب الأساطـير التي تَسْبى الجَنـان !
حيَّرتني ، وبعثت فيَّ الهَمَّ مَشْبـوبَ الكِيـانْ !

(٢١)

دَوَّامةٌ كادتْ تكون على وجودى القاضيــــــــةْ !!
.. دَوَّامةٌ عَصَفَتْ بآمال الشَّبـــاب الغاليــــةْ !!
دارَتْ بأُمنيّات عمري ، ثم دارت عاتيــــــةْ !
قد أفقدتْنى الرُّشْدَ في دَوَرانهــــا ، والعافيـــــةْ !
وإذا رُفاتى بين أمــــواج الريــــاح الباكيــــةْ !
تلقى به في غابــــة النِّسْيــــان بيــــن الباديَــــةْ !

(٢٢)

يا طائري : إنِّى غريــــــبٌ ليس لى مــــن صاحبِ!
قد مَلَّنى أهلى ، وأصحابي ، وكُلُّ أقاربـــــــــي !
فخرجْتُ ألتمسُ الأمــــان لدى سراب كــــاذبِ !
ورجعت صِفْرَ الكفِّ ملفوفاً بحَظٍ خائــــــــــبِ !
الوهمُ ، والإخفاق ، والآهاتُ مِلْءُ حقائبـــــــي !
والشعر داءٌ قاتلٌ يحتَلُّ كُلَّ جوانـــــــــــبى!!

(٢٣)

يا طائرى: والحُبُّ هــل جرَّبتَهُ ، وعَرَفتَــــــــــهُ ؟ !
ولهيبُ نـــار العشـــق يحرقُ ربَّــــهُ ، هل ذُقْتَــــهُ ؟ !
والسُّهْدُ يزرعُ في الجفـــون ـ بلا هدوءٍ ـ نبـــتَــهُ
والليلُ حين يَشُـــدُّ أوتار الهَـــوَى ، أرأيتَـــــــهُ ؟
والزهرُ يُحيي الذكــرياتِ بعطــرِهِ ، أشَمَمْتَـــــــــهُ ؟
والشعر ، وهْوَ اللعنـــةُ الكــبرى، أَتُدْرِكُ نَعْتَـــهُ ؟!

(٢٤)

أعَرَفْتَ طَعْمَ الحُبِّ غَضًّا ـ مثلَ حُبِّي ـ عاطِـــــــرا
وسكَبْتَ فَنَّكَ رائـــعَ النَّغماتِ ، عَذْباً ، ساحــــــرا
وكَتَبْتَ في وَصْفِ الربيــــع جـداولاً ، ودفاتـــــرا
وضَمَمْتَ إلْفَكَ في جَناحِكَ نائماً ، أو طــــــــائرا
وأرَيْتَـــهُ دَقَّاتِ قَلْبكَ ،والغـــــرامَ الثائـــــرا؟!
أحَمَلْتَ ـ مثلى ـ في ضلوع الصدر قلباً شاعـــــرا ؟!

(٢٥)

أحملتَ قلباً مثل قلبي ، ذا الذي اعْتَنَقَ الهــــوى
وأحبَّ حتى ذاب من ســـــحر الصبابة والجوى
وأحَسَّ في الأعمـــــاق طَعْنَ الهَجْرِ ، نيرانَ النَّوَى
ورأي اخضرار الغُصْنِ من طول التَّشَوُّق قد ذَوَى
حَمَلَ المحبَّةَ كالتَّدَيُّنِ ، ما اســــتراحَ ، وما ارتَوَى
واستَفْرَغَ الصَّبْرَ الذي من نــــار شكواهُ اكْتوى

(٢٦)

يا طائرى: عُدْ للحبيبةِ بالرَّسائِل ، قُلْ لهـــــــا:
أبْصَرْتُ في الصحراءِ نَفْساً مَزَّقَتْ لكِ شَمْلهــــا!
تاهَتْ فما تدرى - هنالك - يومها، أولَيْلهــــــا !
انقُلْ إليها أنَّنى ما زلتُ أعــرفُ فضْلَهــــــــــا!
ما زلت أذكُرُ وعْدَها ، ما زلت أرجو وَصْلَهـــــــا
لم أعْرِفِ الحُبَّ المصَفَّى بعدهـــا ، أو قَبْلهـــــــا

(٢٧)

فحبيبتى نَغَمٌ على وَتَرٍ رقيقٍ باسِـــــــمِ
وحبيبتى أملٌ على جَفْنَىْ شعاعٍ ساهـــــمِ
وحبيبتى قُبَـــلٌ على شَفَتَىْ ملاكٍ نائـــمٍ
وحبيبتى كأسٌ مِنَ العطر الرقيـــق الناعِـــم
يا طائرى وانقل إليها هَمْسَ شعـــرى الحالمِ
قُلْ للحبيبة: أنْصِتى لصـــدى الغرامِ الناغِمِ

(٢٨)

قُلْ للحبيبة : لَمْ يعُدْ للقَلْـــبِ في الحبِّ اخْتيارْ
ضَيَّعْتُ أسبابَ النجاةِ ، وغُصْتُ في هذي القفارْ
أسلمت نفسى للقضاءِ ، وأغْرَقَ الرأسَ الدُّوارْ
وطلبت فاتحة الكتاب تَرُدُّ عن أملى البـــوار
فأبتْ عَلَىَّ ، كأنها طَيْرٌ من الأعمـــاق طـــارْ
فلتذكرينى بالمحبَّة حين يسألك الصِّغـــــارْ

(٢٩)

هل تَسْمعينَ الصوت ، وهو على اللسان حروفُ نــــارْ
يشكو إليك الوجْدَ ، إذْ بَعُدَ المزارُ عن المـــــــزارْ
يدعوكِ ، وَهْوَ ممزَّقُ المعْنَى ، غريبُ ، مُسْتطــــــارْ
أنْ ترفعي كفَّ الضراعــــة كُلَّ ليلٍ ، أو نَهــــــارْ
ليحقِّقَ اللهُ الكريمُ رَجَــــا أمانينا الكِبـــــــارْ
ويُعيدَ للقَلْبَيْنِ أســــباب اللقـــاءِ، بلا انتظـــارْ

(٣٠)

لا تَسْألينى عن غرامــــي - يا فتــاتي - واشتيــــاقي
لا تَسْألينى عن شجـــوني ، عــن عذابـــي ، واحتْراقي
لا تسألينى عن همـــــوم البُعْـــد ، أو ماذا أُلاقـــي؟
لا تسألينى : كيف يَبْقَـــى الحبُّ في هـــذا السِّبـــاقِ!
لا تسألينى :كيف أشـــدو بالهـــوى رَغْمَ اختناقـــي
لا تسألينى ٠٠٠إنَّ حُبَّك في شغـــافِ القـــلب بـــاقِ

(٣١)

إنّى رأيتُ هـواكِ -في عُمـرى -قضاءً لا يُـرَدُّ !

•• إنّى رأيتُ هواك -في الأعماق -سِحْراً لا يُحَدُّ !

ملأ الحياةَ أريجُـهُ ، فكـأنّهـا زَهْرٌ ، ووَرْدُ !

•• إنّى رأيت هواكِ فَجْـراً من سناهُ أستَمِدُّ !

يُلْقي على قلـبى المؤرَّقِ بالأغـانى لا تُعَدُّ !

•• إنّى رأيت هواك حُكْماً ،لَيْسَ منه -العُمْرَ- بُدُّ !!

(٣٢)

إنّى ذكرتُكِ حينَ كُنْتُ على طريـق الهاويـهْ !

أصْغى إلى أنغامِ شعرى ، وَهْـيَ حَيْرى ، باكيـهْ !

وأمام عَيْنى طَيْفُ وجهـك في سماء الباديَةْ !

يبدو على شَفَـقِ الغُروب كآيةٍ متناهيَـهْ !

وجلامِدُ الصحـراءِ من حولى وحوشٌ ضاريَةْ !

ورمالها كذنوب أيـامِ الحياة الخاليـهْ !!

(٣٣)

وَدَّعْتُ عمرى حين ســـــارتْ بى خُطاىَ الواهيَهْ
ورأيت نَفْسى كالغـــــــريق رأى النهاية دانيةْ
أُدْنِي لعَيْنَيْها الفرارَ .. تقـــــول: لَسْتُ بناجيــــهْ
فالموت يكمن هاهنا،خلف الصخـــــور الجاثيـــــهْ
ورأيت طيفَك مُشْـــــــــرقاً يجلو دُجَى أياميَهْ
ورأيت أنك نعمةٌ طافـــــــــــت عَلَىَّ مُداويَهْ

(٣٤)

بَعُدَ المزارُ ، وأنت في قلـــــــــبى ، ولسْتِ بزائلَهْ
تَسْعَيْنَ حولى جنَّةً بين الصحـــــــارى القاحِلَهْ
فتُقَوِّمين إلى المُنَى خُطُـــــــــواتِ عمرى المائلهْ
ماذا أتى بك عَبْر آمادِ الفـــــــلاةِ القاتلهْ ؟ !
لا السَّيْرُ يَقْطَعـــــــها ، ولا تُجدى عليها الرَّاحلهْ !
لاَشْئَ يَعبرها سوى صَبْرِ النفـــــــوسِ الآملهْ !

(٣٥)

ولقد ذكرتُكِ حين كان الموجُ أمثالَ الجبــــالْ
يعلو ويهبط بالسفينة في تَحَدٍّ ، واختـــيالْ
وكأنَّهُ آلَى علــــينا بالنهايـــــة، والزَّوال
أوَّاهُ ، لو أبْصَرْتِ ـ عند الموت ـ أفْئدةَ الرِّجالْ !!
الكُلُّ قَدْ نَسِيَ المراتب ، والمناصِبَ .. لا سؤالْ !!
وأنا بِسرِّ الحبِّ أشدو فوق أمــــواج المحــالْ

(٣٦)

لولا هواك لَمَا رأيتُ على الظلام شعاعَ نـــورْ
ولما عَرَفتُ الشَّدْو سِحْراً في الأَصائِل ، والبكـــورْ
ولما سمعتُ خُطا النَّدَى نَغَمـــاً على ورق الزهـــورْ
ولما رَسَمْتُ بأحرفي لغةَ البلابـــل والطيـــورْ
ولما رأيت بداخلـــــى أملاً بقُدْرتِهِ أســـيرْ
ولصارت الأيامُ من حولى كأمثال القبـــورْ !!

(٣٧)

لولاكِ لم تسمع نداء الخُلْد في الأعمـــاق روحـــى
لولاك لم أرجـــعْ إلى وطنـــى ، ولم تبرأ جروحـــي
لولاك لم يَجِدِ الهـــوى باباً إلى قلبـــى الذبيـــحِ !
لولاك لم تَثْبُتْ خُطاىَ بساحـــة الكون الفَســـيحِ
لولاك لم ترقأْ دموعُ الحُزْنِ في جَفْنـــى القريـــحِ
لولاك لَمْ أعِشِ الحيـــاةَ ، ولو بمعجـــزهِ المسيـــح!!

(٣٨)

إنِّى أُحِبُّكِ حُبَّ يأسٍ ، مالـــه أبداً مَثيـــــلْ
حُبًّا تسطره الحيـــــاةُ بأحرفٍ ليسَتْ تـــــزولْ
حُبًّا يراه النـــــاسُ وهماً لا تُصَدِّقه العقـــــولْ
حُبّاً تسير الشمسُ في عينيه تَجْهَلُ ما الأفـــــولْ
حُبًّا له صفة الخلـــــود ، فلا فَناءَ ، ولا رحيـــــلْ
حُبّاً هو القَدَر الذي يجتـــــاز حَدَّ المستحيـــــل

(٣٩)

إنّى عشقتك مُخْلصا بين التّعَقُّلِ والجنـــــون
أُمسى وأُصْبِحُ أنت في قلبى ، وفي مرأى عيونـــي
وأتوهُ في طُرُقِ الحياة ، وأنتِ لى مَرْسَى ظُنونـــي
وأراكِ في كل الحياة حياةَ قلبٍ ذى شجــــون
وأراك حين تغيم أيامى ، ويجفوني يقينـــــي
آىَ الهداية ، والسَّلامــة من متاهات الدُّجــــون

(٤٠)

لا تتركينى للظنـــــون تنال منـــى ما تريـــدْ
لا تتركينى إننـــي إنْ تَبْعُدى عنـــى وحيـــدْ
أخشى الحياةَ ، فلا أواجهها وأقنـــع بالجمـــودْ
وأعيـــش بين وحوشهـــا ، وكأننـــي طَيْرٌ شريدْ
فإذا اقتربتِ بعثْتِنى من وحـــدتى البعثَ الجـــديدْ
فَخَلَعْتُ أكفانَ الفناء وطرتُ في أفُـــقِ الخلودْ

(٤١)

إنّى مللتُ العَيْشَ ، والأشياءَ ، والناســــا
تلك الحياةُ مللتُها سِجناً وحُرَّاســـــا
تلك الـــتي صارتْ تفاهــــاتٍ ، وأدناســـا
صارت هواناً يَسْتَذِلُّ القلبَ والرَّاســـــا
إني كرهت صراعها ، صوتـــاً ، وأنفاســـا
وكرهت نفسى إذْ غَدَتْ وهمـــاً ووسواســـا

(٤٢)

النفسُ حائرةُ الخُطا، والعقـــل قد فقد الصَّوابْ!!
والكـــونُ أصْبَحَ غابةً ، كُلُّ الأُلَى فيها ذئابْ !
كلٌّ يخونُ ، وتَدَّعــى ، كُلٌّ يصيحُ ، ولا جوابْ !
كُلٌّ ينادى نَفْسَهُ ، وكأنَّهُـــمْ يوم الحسابْ !
لا يعرفون ســوى الخرابِ ، وما يَجُرُّ إلى الخرابْ !
يارَبِّ : قد ضَلَّ الحجا ، لم يَدْرِ ما هــذا العذابْ ؟!

(٤٣)

القلبُ يَصْرخُ في حنايا الصـــــدر من ألمٍ مَضيضْ
حيرانُ في قلب الدُّجَـــى العاتي ، يفتِّشُ عن وميضْ
وكأنَّهُ ـ في حَبْسهِ ، وهمــــــومه ـ طَيْرٌ مَهيضْ
ضاقَتْ به الأزمانُ ، والأوطـانُ في الكون العريضْ
متأرجِحُ ، مُتَخَبِّطٌ ، في خَطْــوِهِ ، مثلَ المريضْ
لا يستجيب لشَــدْوِهِ أحدُ ، ولا يُجْدى القَريضْ !!

(٤٤)

يا أيها القَلْبُ الحزينُ : متى الخــلاصُ من الأنينْ ؟ !
ومتى تعودُ من الضياعِ ، وقد تَحطَّمت السَّفينْ ؟!
ومتى سيُفْتَحُ عنكَ ـ يا طَيْرَ الأسَى ـ سِجْنُ السنينْ ؟
أنا ما رأيتُ ، وما سمعتُ بمثل حــالك من سَجينْ !!
إني أخاف عليك ما تَلْقاهُ يا قلــــبي الحَزينْ !!
إني أخافُ عليــك ريحَ العَجْزِ ، أو ريح الجنونْ !!

(٤٥)

يا قَلْبِ : رفقا بي ، فلا تَعْجَــــلْ ، ولا تَغْلُظْ عَلَيَّا !!
كيف السبيلُ إلى الأماني ؟ ، كيف نطوى الأرضَ طَيَّا ؟!
حَمَّلْتنى مالا أُطيـــــقُ ، فَصِرتَ بى وَجَعاً شقيَّا !!
ما كنتُ أعْصى ما تقولُ ، ولم تكـــنْ بَرّاً وَفيَّا !!
فطلبتَ منِّى كلَّ ما قد كان ممتَنعــــــاً أبيَا !!
وملأتنى شَوْكا، وسُهْــــــداً ، واحتراقاً سَرْمَدِيًّا !!

(٤٦)

يا قلبِ : غَيْرَ النار ، والزَّفَــــراتِ لم تَجْـنِ !!
أحْلامُكَ الخضـــــــراء قد سبقت خُطا سِنِّى !!
تأبى على كفى ، ولا تأبَى علــــى عَيْــــنى !!
أنا لستُ ممَّن يركبــــــونَ شواردَ الجِنّ
حتى تُكَلِّفَنى محـــــــالاً لم يكنُ مِنّى !!
وأنا هُنا لم أُحْـــــــصِ أكْثَرَ من رؤى فَنّى !!

(٤٧)

يا قَلْبِ : تلكَ النَّـــــارُ ، كيفَ لَهيبُها يخبو ؟ !
أنا ما جَنيْتُ ، ولم يكـــــن لى في الورى ذنبُ
حَتَّى أَرَى خَطـــــباً أَتى في إِثره خَطْبُ !!
والكفُّ عَمَّا تبتغى ، من ضَعْفــــــها تَنْبو !!
والرِّجْلُ من طول السُّرَى ، في خَطْـــوها تَكْبو !!
فمتى الخلاصُ من العذاب الهُـــونِ ، يا قَلْبُ !!

(٤٩)

يا قَلْبِ : منكَ الدمع يجرى صـــامتاً بين السطورْ
أخْفيهِ طولَ اليَوْمِ عَمَّنْ ينظـــــرون بلا شعورْ
حَتَّى إذا جَنَّ الدُّجى ، وسَجَـــتْ من الليل الستورْ
أوِي إلى قلمى ، أسِرُّ له من الدمــــع الغزيرْ
لا يسمع الأنَّاتِ من صــــدرى سوى القمر المنيرْ
أو دَوْحَةُ الصَّفصـــافِ حين تَضُمُّنى عند الغديرْ

(٤٩)

يا قلب : أنْتَ عليَّ - في كل المواقـــف - جائرُ !
أسْعَى وراءكَ والزمانُ على النَّوافـــــذِ ساخرُ !
وأنا بأمركَ - لا أخـــالفُ ، لا أناقشُ - سائرُ !
أرعَى عُهودَكَ كُلَّها ، وعلى هـــــواك أسافِرُ !
والصدرُ واه ، بين أضْلُعِــهِ لهـــــيبُ ثائرُ !
يا قلبِ : قد عَذَّبْتنى ، رفقـــــاً، فإنِّى شاعرُ !

(٥٠)

قالوا: تعالَ اليومَ ، والبَسْ مثلـــــنا ثوبَ الحديدْ !
واتركْ حياتكَ واندمـــــج في ذلك الزَّمَنِ الجديدْ !
وانْسَ الحقيقةَ ، إنها شـــــئٌ من الذكرى بعيدْ !
عَوِّدْ لسانَكَ أن يمـــوتَ ، ولا يُطِلُّ على الوجودْ !
واجْعَلْ على الماضى حـــدوداً ، لا يَلوحُ ، ولا يعودْ !
فإذا نَسيتَ ، فدونَكَ السَّـــوطُ الذي يفرى الجلودْ !

(٥١)

ثمَّ ارتَدَيْتُ ثيابَهُمْ ، وكتَمْتُ في صمتِ الجراحـــــا !!
وتركْتُ أقلامي ، وأوراقي ، وتابعت الريـــــاحـــا!!
يا قلب: عذراً !! ، يا رفاقي : كيف احتَمِلُ السِّلاحا ؟!
أنا لا أُحِـــبُّ الحرب ، أو لونَ الدماءِ ، أو الصياحا !!
أنا لَسْتُ أرضَى أنْ يكونَ الظُّلْـــمُ في الدنيا مباحـــا !!
أنا لَسْتُ أطربُ حين أسْتَمعُ الصُّـــراخَ أو النُّواحـــا !!

(٥٢)

إنِّى تَعشَّقْتُ الجمالَ ، ولو على وَرَقِ الخـــــــريفْ
أنا شاعـــرُ ، والفَنُّ مَعْبدُهُ ، ونجـــواهُ الحـــروفْ
أنا طائرُ ، والفَجْرُ أيكَتُهُ ، ومغنـــــاهُ الوَريـــــفْ
أنا ساحرُ ، والشعـــر آيتُهُ ، ومركبه الخفيـــــف
أنا عازفٌ أنغامـــه تجرى كما يجرى النَّزيـــــفْ !!
وأنا نَبِيٌّ بالهُدَى ، والطُّهْرِ في الدنيا أطـــــوفْ!!

(٥٣)

أهْوَى الجمالَ ، ولستُ مُهْتَمّاً ، مَتَى ، أو كيْفـــــا !!
أهواهُ نَبْعــاً من خيالات الســعادة أصْفَـــى!!
أهواهُ نوراً في سمــاوات الحقيقـــة رَفَّـــا !
أهواهُ سِرًّا بين أحـــلام الطبيعــــة يَخْفَـــى !
أهواهُ في حُسْنِ الحِســانِ إذا تَرَقْرَقَ عَفَّـــا!
أهواهُ حُلْماً بالجمــــال ، وغايـــةً لا تُلْفَــى !!

(٥٤)

أهــــواهُ أنّى كــانَ في الدنيـــا ، ومهمـــا كانا
أهواهُ نايّاً عاشقـــاً قـــد ذابَ ألحـــــانا
أهواهُ رَمْزاً غائبـــاً ، أهـــواهُ ألـــوانـــا
أهواهُ نجوى ضَارِعٍ قد ذابَ إيمـــانـــا
أهواهُ روحاً أُحْرِقَتْ بالحُـــبِّ طوفانـــا
أهواهُ ديناً ، في دمـــي يجرى ، وديَّانـــا !!

(٥٥)

لا وقْتَ عندى للحروب ، ولا سبـيلَ إلى التَّعَـدِّى
والظُّلْمُ أكْرَهُـهُ ، وأكرهُ كُلَّ ذى ظُلْـمٍ، وكَيْدِ
والكُرْهُ أكْرَهُهُ ، وما هو - رغـم قَسْوَتِهِ -بِمُجْـدِ
الكرهُ نارٌ تُغْرِقُ الآمـال في جَزْرٍ ، ومَـدِّ
وتَشُقُّ خَلْقَ اللهِ ، كـلٌّ يتَّقى كُلاًّ بِسَـدِّ
الكُرْهُ إثْمٌ ما لَهُ من موضِـعٍ يحويـه عنـدى

(٥٦)

فلْتَعْذُرونى إذْ هربْتُ ، وما ألفْتُ حياتَكُـمْ
وتركتُها بجروحهـا ودمائهـا ، أقواتَكُـمْ !!
إنِّى كرهتُ حياتَكُمْ ، حُقَراءَ كم ، وطُغاتَكُـمْ
علماءكم ، جهلاءكم ، أفكـاركم ، أصواتَكُـمْ
إنى كرهتُ نفاقَكُمْ ، ورياءكـم ، وصلاتَكُـمْ
ولْتَعذرونى إنْ كرهـتُ حياتَكُمْ ، ومماتَكُـمْ

(٥٧)

هذى حياةُ كلٌّ ما فيها خـداعٌ في خِـداعْ !!
العَيْشُ فيها للقَوِىّ بلا اختيارٍ ، أو نِـزاعْ!!
أما الضَّعِيفُ ، أو الحَيِىُّ فمـا لَهُ إلا الضَّيـاعْ !!
من لم يكُنْ ذئباً يُغيرُ ، فلن يقـوم له شـراعْ!!
الرزق فيها للمخالب ، والمهانةُ للجيـاعْ!!
إنّى كشَفْتُ حياتكم ، ما غرَّنى منهـا القنـاع

(٥٨)

عَجَباً لهاتيكَ الحياةِ ، ومَنْ بهـا كُـلَّ العَجَـبْ!!
الظُّلْمُ فيهـا مثلُ نارٍ قـد تَلَظَّـت في حَطَـبْ!!
تأتـي على أحلامنـا من غير حَقٍّ ، أو سَبَـبْ !!
ونَفِرُّ منهـا ، وهي تطوينـا بنيرانِ الغَضَـبْ!!
وتَصُبُّ في أفواهنا ، وعيوننـا قِطَعَ اللهَـبْ !!
فانهارت الآمـال ، واستَلْقَتْ على الأرض الشُّهُـبْ!!

(٥٩)

نامت عيون الكـــــون ، ثُمَّ رأيتُ عَيْنى تائِهَهْ !!
ترنو إلى عُمْقِ السماء بكلِّ شـــوق ، والهـــهْ !!
القَلْبُ يخفِقُ ، والـلــــيالي مَيِّتاتٌ شائِهَهْ !!
وظلامها يلوى أمانيَّ النفـــــوس الناهِهَهْ !!
تلك الحياةُ ، كأنهـــا قَدْ حُمِّلَتْنا كارهــةْ !!
ولرُبَّما صَنَعَتْ من الأحجـــار - زوراً - آلِهــةْ !!

(٦٠)

حاولتُ أن أبنى عليها من حـــروفي مَسْجدا
وأقومَ في زَمَنِ الخـــراب مُؤذِّناً ، وموحِّدا
وأقودَ كُلَّ الضائعـــين إلى الحقيقة والهدى
وأردَّ كفَّ المعتدين إذا تَبذَّخَ ، واعتـــدى
وأرَوِّىَ النبت الذي حُرِمَ الســـلامةَ والنَّدَى
فرأيت أيام الجهـــاد تَبَخَّرت مِنِّى سُدَى

(٦١)

حَدَّثتُ نَفْسى أَنْ أفِرَّ ، ولم أُقَــــوِّمْ أعْوجــــــــا

وأعودَ للجُبِّ الذي في قـــــاعِهِ ليلى دَجَــــــــى

ويعيث قُطَّاعُ الطــــــريقِ ، بلا دفاعٍ ، أو رجــــــا

ويبيتُ شعرى في صنـــــاديق القمامة مُدْرَجــــــا

ويموت صوتى في ضلــــــوعى ، بعد أن مات الحجا

وأظَلّ طولَ العُمْـــــــرِ لا أبغى لسجنى مخرجــــا!!

(٦٢)

الشعــــر سَهْمُ ، في المعــــارك ، حين يرمى ، صائبُ

الشعر سيفُ مُرْهَــــفُ ، عند التجالُدِ غالــــــبُ

وأنا بهِ ، يـــــومَ اللقاءِ ، مُذَكَّرُ ، ومحاسَـــــــبُ

لِمَ لا أقومُ بسِرِّهِ ، أدعــو لهُ ، وأحـــــــاربُ؟!

هل أترك الميدان للبوم الــــذي هو ناعـــــــبُ

وأعودُ بالآلام ، والآلامُ حَظٌّ خائـــــــــــبُ؟!

(٦٣)

مهما طغى الطوفانُ ، وانتشـــــرت على الدَّرْب الحُفَرْ
وازْوَرَّ عَنِّى صاحبي ، واغتيلَ حُلمى ، وانكَسَـــــرْ
وأتى الخـــــريف ، وفي يَدَيْه تموتُ أوراق الشَّجَـــرْ
وأتى نذيرُ من وراءِ الغيـــب ، وانْشَقَّ القَمَـــــرْ
مَهْما تَحَطَّمَت القلوب ، وشُوِّهَتْ كُلُّ الصـــــــور
أنا لن أبيـــع زهورَ عمـــــرى بالهَشيم المُحْتَظَرْ !!

(٦٤)

مهما تَرَصَّدت العيونُ الحاقداتُ على الطُّـــــرُقْ
كي تسرقَ الأمـــل الضعـــيف من الفـــؤاد المحترِقْ
ولسانُ حَيّاة الصخور مـــن الوراءِ قد انطلـــــق
كي يوقفَ الزَّحْفَ المقدسَ في انْهـــزامٍ، أو قَلَـــقْ
فَلأَ عْبُرَنَّ إلى المُنَى ، مهما احْتَملْتُ من الحُـــرَقْ !!
ولأ كتُبَنَّ قصيدتِي بدمـــاء قلبـــي في الوَرقْ !!

شعر

محمد فتحى نصار

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٢٠٠٢/٦٩٨٤م